الأعمى الذي رأى البحر

الأعمى الذي رأى البحر (شعر)

خالد علي المعمري (شاعر عُماني)

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022

الآن ناشرون وموزعون

الأردن، عمّان

alaan. publish@gmail. com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

سلطنة عمان، مسقط

omani- writers@hotmail. com

هاتف: 96824346753+ / 96824346754+

المدير العام: د. باسم الزعبي

لوحة الغلاف: سلفادور دالي

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

رقم الإيداع في سلطنة عمان: (2021/4058)

ISBN: 978- 99969- 862- 8- 4

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2021/12/6744)

خالد علي المعمري

الأعمى الذي رأى البحر

شعر

الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء
THE OMANI SOCIETY FOR WRITERS & LITERATI

إلى فاطمة . . .

أنا أحيانًا أختبرُ نفسي بالحبّ

العرّافة

في الصيفِ
كانتِ الريحُ قلمي، والنخلةُ دفتري
وأنا لم أقرأ بعدْ.

لجدّي قالت العَرَّافةُ:
في الصّيفِ، ستعُمُّ الكارثةُ،
ستحترقُ النخيلُ، وتلتهمُ النارُ البشرْ.

في الصَّيفِ..
أغرقَ الطوفانُ القريةَ
فيما العَرَّافةُ تقرأُ لهبَ النارِ
في حصىً بين كفّيها.

في الصيفِ
لم أَعُدْ كما كنتُ
أسيرُ بلا ذاكرةٍ، وأبكي بلا دموعْ.
كُلُّهم هربوا من حلمِ عرافةٍ عمياءْ

كُلُّهم قادتْهم خطواتُهم إلى جبلٍ يعصمُهُم من النارْ
يا أيها العابرُ في ذاكرتي
أنا هنا
واقفٌ أرقبُ النارَ
أُفَتّشُ بينها عن دليلْ.

للمرةِ الثالثةِ ماتت العرافةُ
لم يقيموا لها عزاءً، ولا قبرًا
ما زالوا ينتظرونها، تأتي
متدحرجةً من أعلى الجبلْ.

وساوسي نائمةٌ هذه الليلة
أنا مثلُ أهلِ القريةِ،
مثلُ جدّي،
أنتظرُ شيئًا سوف يعود
شيئًا يُشبهني، يُشبه وجعًا بي
الحقيقةُ غائبةٌ، والصيفُ أكثرُ مطرًا
عادتِ العرافةُ
وأنا بينهم واقفٌ
أنتظرُ شيئًا ليس يعودْ

الحلاّج

حضر الحلّاجُ
وغاب القاضي والشهودْ

مَن يُقنعُ الخليفةَ أنّ صعلوكًا
سيبني قبيلةً أخرى

من يُقنعُ الخليفةَ أنّ شاعرًا هجرَ القصيدةَ والقافيةْ

من يُقنعُ القاضي بأنّ الحياةَ لها احتمالانِ:
الموتُ والخوفْ

من يُقنعُ الشُّهودَ بأنّا نُحبُّ المطرْ!

الشجرة

قال ليَ الحطابُ: يا سيدي
هذه شجرةٌ معمّرةٌ
تهذي بالحنينِ وبالسنينْ
أَنقطعُ أغصانَها ثم نتركُها للغيابْ؟

يا صاحبَ الفأسِ:
إننا مقاتلونْ
نَعْبُرُ الأرضَ
المدى رصاصةٌ أمامنا
والحريةُ وهمٌ
والغيابُ فرصةٌ للنداءْ

أَمِنْ أَجْلِ شجرةٍ معمّرةٍ
تتوقفُ الحروبْ؟!

الرّسّام

في الحربِ،
قيل لأبي: اكتُبْ أسماءَ الموتى.
قال: ما أنا بكاتب.
قيل: اكتُبْ وحسبْ.
فقام برسم الجنود بلا وجوهٍ، ولا أيدٍ، ولا أرجلْ.

وعندما أرسلوا صُوَرَهم إلى الوطنِ،
تحيّر الناسُ كيف يدفنون موتاهم!

قيل لأبي:
ارسم مقبرةً عظيمةً
وعلّقْ صُوَرَهم عليها.

جمع أبي الصورَ في ألبومٍ مشتركٍ،
ووضعه في صندوقٍ،
وواراه تحت السريرْ.

بعد انتهاءِ الحربِ
نبش أبي الذاكرةَ
وعلّق صُوَرَ الجُنْدِ
وبكى الناسُ موتاهم في معرضٍ فنيٍّ،
فيما كان الجنرالُ يقرأ خطبةً
عن استبساله في أرض المعركةْ..

انسحابٌ تكتيكي

انسحبتُ تكتيكيًا من المعركة
أنا أُجيدُ الانسحابَ دائمًا
لستُ أولَ مرة أنسحبُ فيها،
ومع ذلك،
هم يمنحونني قيادةَ الكتيبةِ.
قال ليَ القائدُ: الحربُ خدعةْ
استدرْ
ثم باغِتِ العدوَّ من الخلفِ.
أنا أكرهُ المُباغتةْ
أعطيتُ أوامري بانسحابٍ تكتيكيٍّ ثانٍ
صحوتُ
وأنا مُعلَّقٌ على جِذعِ سدرةٍ يابسةْ
والجنودُ يرمونني بالحجارةِ
التفتُّ إلى القائدِ وقلت:
يا سيدي لنحذفْ كلمةَ «تكتيكي» من جملتي
ولنُبْقِ على كلمةِ «انسحابْ»
فالحربُ خدعةٌ كما قلتَ.

عناق

في طفولتي
قالتْ لي معلمةُ رياضِ الأطفالِ:

أنت جميلٌ
كعاشقٍ حمل أميرته على جوادٍ أبيضَ
وشجاعٌ
كفارسٍ قادَ قبيلتَه في معركةٍ
وانتصرْ.

لم أفهمْ ما قالتْ بالضبط!

لكنني عانقتُها وطبعتُ قُبلةً على خدّها الأيسرْ

منذ ذلك اليوم، وأنا أبحث عن شفتيّ.

أغنية للصمت

يكبرُ هذا الصمتُ
يكبرُ في الحقيقةِ وفي المجازِ
صرتُ أخترعُهُ مؤخرًا
كلما ابتدأتِ الغناءَ
وكلما قالتْ عصفورةٌ:
إنكِ تُعلِّقينَ نجمةً في فناءِ البيتِ
وترسمينَ لوحةً لي.

وإذا قُلتِ أُحِبُّكَ
يكبرُ هذا الصمتُ أيضًا
حتى يصيرَ حديقةَ وردٍ أندلسيةً
وأصير موشّحًا

الصمتُ سُنّةٌ، والكلامُ بدعةٌ
لذا يكبرُ الصمتُ في هدوءٍ
وتنقُلُنا الأحاديثُ الجانبيةُ إلى سلطةِ المنفى

في المساءِ
أنظرُ إليكِ في صمتٍ
أكتبُ قصيدتي الأخيرة
أُغَلِّفُها،
وأُرسلها مع حمامةٍ بيضاءَ
ربما ستصلُ بعد عامٍ
عندما أكونُ قد نسيتُ
ما كتبتُ أعلاه.

حارس الموتى

أنا حارسُ الموتى
لكي لا يخرجوا إلى الضياء مجددًا

أنا حارسُ الموتى
سمعتُ نميمةَ الغُيّابِ
وقرأتُ من كُلِّ القصائدِ ما أتى العُشاقُ
ومسحتُ أحزانَ الذين تباعدتْ خطواتهم

أنا حارسُ الموتى ولي في كل مقبرةٍ
وصايا لم تجفّ
عشرون عامًا لم يزل بابي يواري صمته
عن فكرةٍ نشأتْ بهذا الليلِ قُمتُ أُحدّثُ الأرواحَ،
أحكي عن وطنْ:
تتشابه الكلماتُ لكنّ القصائد لم تَعُدْ لغةً لنا.
ما زلتُ أذكرُ عطر شاعرةٍ وحنّاءً وقافية الحنينْ.
الحربُ مثلُ قبورنا
تُخفي الجماجم، والقنابلَ، والوعودْ.

وأبي،
كأي قصيدةٍ تهوى الخلودْ.
قَطَفَ النجومَ
ولم يزل في جيبه المثقوبِ يُخفيها
يُخبِّئها لطفلٍ/ شاعرٍ.
تتناثرُ النجْماتُ، في الطرقاتِ، من جيب الفقيرْ.
لا تكذبي، فالموتُ لا يحتاجُ، مثل الحُبّ، أغنيةً
ولا حفلات رقصْ.
كلُّ النساءِ قصائدٌ، ودفاترٌ من ذكرياتٍ لم تَغِبْ.
وحبيبتي رحلتْ،
ككُلِّ جميلةٍ رحلتْ، وأبْقت خلفها صُوَرًا وشِعرْ.
الغيمُ يسقي الأرض، والأشجارُ راقصةٌ،
لِمَ الغرقى يُطيلون الوقوفْ؟
الآن تسألني المسافةُ: مَنْ تكونُ؟ فلا أُجيبْ
مَنْ يسألِ الخلواتِ
يعرفْ أنني فيها الغريبْ.
كم كنتُ أبحثُ في القبائلِ عن خيامٍ
في المنافي عن تفاصيلٍ
وفي الموتى!
أحتاجُ وقتًا كي أُفسِّرَ أغنياتِ الكونِ.

تحتاجُ نبضًا كي تكونَ أنا.
نحتاجُ حُلمًا دافئًا كي تستفيقَ برازخُ الدنيا بنا

هل من فراقٍ آخرٍ لا يرتدي ثوبَ الحقيقةِ
والفراغ يضجُّ في معنى الجهاتْ؟

يا آخرَ اللوحاتِ، كوخي قيدُ لونٍ زائلٍ
قد يسقطُ الدولابُ،
تنكسرُ النوافذُ، لا يهمْ
إني تركتُ عشيّةً فرشاةَ ألواني، وأوراقي،
وبروازي تعلَّقَ بالأماني العابراتْ

ما عُدْتُ أُحسِنُ أنْ أُلوِّنَ ضحكتي،
علّقْتُ وجهي هكذا،
ومضيتُ يرسمني الشتاتْ

محاولة صيد

أصدقائي الصيادون كانوا يرمون سناراتهم،
فيصطادون سمكًا،
وسلاحف، وحوريّات!

وأنا، كوني شاعرًا، رميتُ سنّارتي
فاصطدتُ ضفدعًا بعينينِ جاحظتينِ.

ابتسم في وجهي، فأعدتُهُ إلى الماء،
ثم جمعتُ سنارتي،
وحقيبةَ الصيد الجديدة،
وديوان المجنون،
وعُدْتُ أُطاردُ ظبيةً في الصحراءْ..

لا شيء يُشبهُني

لا شيءَ يُشبهُني
سوى قمرٍ تعَلَّقَ في السماءْ

هي هكذا أمي
ستحكي بعد ميلادي بيومٍ واحدٍ،
ستقول للجاراتِ عني
ما يُقالُ عن الضّياءْ

وأنا سأسمعُ ما تقولُ زليخةٌ
عن حُسْنِ يوسفَ
عن رضيعٍ قد نما في نبع ماءْ

ولربما حمَلَ القناديل المضيئةَ
في أصابعهِ
وعادَ إلى السماءْ

صعود

مَنْ أغراكِ بالصعودْ؟
هنا الحياةُ: هنا النهرُ والشجرْ
كأنّ نجمةً تُراقصُ موسيقاكِ.

وأنا ألتفتُ للذاكرة العالقةِ،
نسيتُ
أنّ الدروبَ قَفْرٌ بعد الفراق
وأنّ السؤالَ مكرُ الغائبينَ

تعالَيْ
هنا موطنُ قدَمَيْكِ
نَبَتَتْ به حديقةٌ من الياسمين
إلى الآن تسألني عنكِ.

صدى

اركبْ معي،
الفُلْكُ مزدحمٌ هنا،

وأنا وحيدْ.

لا تنسَ أحلامَ العُصاةِ

هذا الصدى
آتٍ مع الغرقى

من الزمنِ البعيدْ.

قبل أنْ يأتيَ الخريف

إلى فاطمة

النسيان:

كلما أَردتُ أنْ أنسى
تَذَكَّرْتُ أنَّ ذاكرتي
لا تَتَّسعُ لاثنينِ: الحُبّ والنسيانْ

الفقد:

أنْ أراكِ كلَّ يومٍ
على شاطئِ البحرِ
تتقابلُ الخطواتُ
ولا يخفقُ القلبْ

الدمع:

قطرةُ مطرٍ
تُداعبُ عصفورًا
على شُبّاكٍ مهجورْ

الرحيل:

شارعٌ أعزلٌ
إلا من مصباحٍ وإنارةْ

الخلوة:

عينانِ تُحَدِّقانِ في الظلامِ
تبحثانِ عن موضعٍ كنتِ تجلسينَ فيه
تقرأين أشعارَ لوركا
ونثرَ أبي العلاءِ المعرّيّ

الشوق:

طفلٌ
اغترفَ غُرفةً بيده
من نهرٍ ناضبْ

العاطفة:

لم أنسَ وزنَ القصائدِ
لا تخلطي بين دمع الوداعِ ورقصِ الجسدْ
تعلّمتُ أنّ الزّحافةَ شعرٌ
يُغنّي.. يهيمُ بهذي البلدْ

وتلك المنافي بأحزانها
قرأتُ لها من مراثي الحسدْ
ولما أفقتُ أراني قتيلًا
وهذي الدماء تنادي: مَدَدْ

اللقاء:

البارحة كسرتُ زجاج نافذتِكْ
وقفتُ على الرصيفِ المُطِلِّ لداركمْ
ورمَيْتُ حَجَرًا،
وعندما الْتَفَتِّ إليّ
كنتُ قد تَبَخَّرْتُ كقصيدةٍ نزاريةٍ
في حقلٍ من الياسمينْ
وَسْطَ بيتٍ دمشقيْ

اعتراف (1):

لمـــــــاذا
كلما قلتُ «أُحبّكِ»
يصمتُ الصدى،
ويبكي الكمانْ؟

اعتراف (2):

أنـــــــــا

ذئبٌ خائفٌ،

يهربُ

كلما سمع مزمار الراعي

الخريف:

قبل أنْ يأتيَ الخريفْ

تعالَيْ نُغنِّ

أنتِ سيمفونيتي الخالدةْ

وأنا عصفورُك الأسيفْ

لا تُطيلِيْ الغناءَ

كي لا تبوح شجرةٌ بأسرارِها،

أو يخلع الموجُ عباءَتَه الزرقاءْ.

قبل أنْ يأتيَ الخريفْ

أخبري الناسكَ، والمتصوفَ،

والشاعرَ

أنّ عينيكِ محرابٌ، وخلوةٌ، وقصيدةْ.

علميني

كيف من عينيكِ أبتكرُ القصيدةْ
كيف كنتِ فراشةً
يناديها الصّباحْ
هذه الواحاتُ ظمأى
وأنا تذروني الرياحْ

قبل أنْ يأتيَ الخريفْ
اعزفي للحلمِ، لليلِ
افتحي الشباكَ

أيقظيني
وابتكري الغناءْ

فاطمة:

لعلّها من «ألفِ ليلةٍ» جاءتْ
من حكايا شهرزادْ
من طلوع الفجر في عمق الحكايةِ
لم تكن شعرا لأكتبها
في ثنايا السرد كانت تِقْنيَةً وأحداثًا
وحوارْ

هكذا كانت،
ثم تسلّلتْ في غفلةٍ
للواقعِ المسكونِ بالكلماتِ،
والأساطير القديمةِ،
والتفاصيلِ الصغيرةِ،
كأغاني الحُبِّ في حُلمِ الصغارْ

ثم نادى شهريارْ
قد دنا الفجرُ
فقومي
واقطفي من عطرنا
واكتبي في اللوحِ عنكِ
كم وصايا صاغها التكوينُ
أنتِ سردٌ ثائرٌ
أنتِ سردٌ حائرٌ
قد دنا الفجرُ.. فقومي
واسألي:
من أين نبتدئُ الحوارْ؟

اعتراف (3):

بيتي جوارَ البحرِ
كلما أنقذْتُ غريقًا منه
فاجأني الطوفانُ
وغرقتُ في بحرِ عينيكِ

انصهار:

نخلةٌ في الصحراءِ
تصحو متشبّثةً بالأرضِ
تحثو الرملَ في وجه الريحِ
رافضةً أنْ تُظلّلها غمامةُ الصيفِ

غيمة:

من غيمةٍ مرَّتْ عَرَفْتُ حبيبتي
أنا ذابلٌ لولا غناؤُكِ يَهْطلُ

صحراءُ قلبي أَعْشَبَتْ في غفلةٍ
والسّرُّ أنَّ عناقنا هو أَطْوَلُ

حضور:

حين أقرأُ شعرًا رومانسيًّا
تكونين أنتِ القصيدةَ، والذاكرةْ
وحين أقرأُ قصيدةَ نثرٍ
أتخيَّلُكِ إيقاعًا، ورمزًا، ولغةْ
أنا كثيرًا ما أُوهمُ نفسي بالقراءةِ
حتى تكوني معي

طلل:

كلَّ صباحٍ
أقفُ على طللِ القصيدةِ
لعلّي أَشْتَمُّ رائحةَ عِطْرِكِ هناكْ

الجوع:

على قارعةِ الطريقِ وقفنا،
لم أكنْ كبقيةِ الأطفالْ
أنظرُ بحزنٍ
إلى عربةِ الآيسكريمْ
كنتُ أَنظرُ،
كنتُ أَسألُ،
عن سرِّ ذوبانِ الثلج بين يديكِ؟

موال:

كلّما نَظَرْتُ إلى شيءٍ صار أُغنيةً.

هذا اليوم

أَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ

فصار الظلامُ موالًا حزينًا

ليتني أستطيعُ فَتْحَ عَيْنَيَّ مرةً أخرى

على مهل:

لعلَّني بعد عامينِ من اللقاءِ

سأُحِبُّكِ.

على مهلٍ تجري الحياةُ

أذكرُ عندما لقيتُكِ

كنتِ طفلةً

تُلَوّنينَ الكونَ، وتَرسمينَ الشَّجرْ

وإلى الآنْ

أنتِ تحملينَ كُراسةَ الرَسْمِ

كما كنتِ في أول لقاءٍ صباحيّ.

بعد عامينِ
سأُحبُّكِ أكثر،
كما كنتُ أُريدْ.

اعتراف أخير:

صدّقيني

لا أَهْتَمُّ كثيرًا بوزنِ الشعرِ
ها أنذا
أكسرُ كلَّ قواعده
وأنتِ معي

من مذكرات الشيخ الهندي*

(1)

فَراشةٌ في الأقاصي

حبيبتي

أتذكرينَ غروبَ الشمسِ؟
أنا لا أذكرُ سوى عينيكِ.
هما قافلةُ الضياءْ
وأغنيةٌ طفوليةُ الكلمات

***

هناك حيث شجرةٌ منسيةٌ
قالت امرأةٌ كانت جوارنا:
انسحبا من الحياةِ

* تقول الحكاية الشعبية: «عثر الأهالي في بلدة حرمول بولاية لوى على جثة رجل طافية على شاطئ البحر، سحنته تختلف عن سحنات الأهالي، وملابسه، والقلائد التي يرتديها، فأطلقوا عليه لقب (الهندي)، ثم حملوا جثته ليدفنوها في المقبرة، وفي الطريق ظهر نور من الجنازة امتد إلى السماء، فقالوا: هذا (الشيخ الهندي)، وقرروا دفنه في مكانه، وما يزال قبره إلى اليوم في بلدة حرمول بولاية لوى يعرفه الناس».

وَعُودا مَلَكَيْنِ ترقصانِ على ظهرِ غيمةْ
ما زلتِ ترقصينَ كملاكٍ جميلٍ
وما زال الحنينُ يَشُدُّني
لغيمةٍ بيضاء

***

قرأنا قصائدَ
كنا مسكونينَ بها،
بالضوءِ،
بفراشاتٍ آتيةٍ من البعيدِ
نحن من غَنّى لها،
عندما طارت
ارتفعتْ أبصارُنا معها جهةَ السماءِ
وعندما حَطَّتْ نامتْ على أصابعنا معًا
ليتنا كنا فَراشًا
تجذبنا الطبيعةُ إلى عالمها الأبديْ
نحُطُّ على زهرةٍ
ونطيرُ مع الغناءْ

***

أشتمُّ عِطركِ الآنَ
تقودني الذكرياتُ إليكِ

إلى شَعْرِكِ الذهبيِّ
وفستانكِ المزركشِ بالورودْ
يا بجعة
فَرَدَتْ جناحيها في الصباحِ

كأنكِ الآنَ تُقلّبينَ الأوراقَ
تبحثينَ عن أُغنيةٍ صباحيةٍ

هناك في الكراسةِ الزرقاءِ
بعد عشرينَ صفحةً من العتابِ رسمتُكِ
كما كنتِ تنظرينَ إلى الغروبِ/ الشروقِ
رسمتُكِ نجمةً فَرَّتْ إلى موطنها الأولِ
تحملينَ ورقةً كُتبَ عليها: «أُحبكَ»
في أسفلِ الصفحةِ لامسَ إصبعُكِ السطرَ
فابتدأت القصيدةُ، وابتدأت الحياةْ

***

مِن فَرْطِ ما حلمتُ بعينيكِ
أدمنتُ النظرَ إلى القمرْ
كيف يبدو وأنتِ تنظرينَ إليه الآن؟

***

لأجلِ الوصولِ إليكِ
استعرتُ دراجةَ أخي
هل تذكرينَ؟
تأخرتُ قليلا
كانت الفراشاتُ تُحيطُ بشرفاتِ البيتِ
وثمة ضوءٌ تدحرجَ من نافذتكِ
وجلس على الدراجة خلفي
كانت رحلةً طفوليةً
وذاكرةً خضراءَ
أخيرًا تَنَبَّهْتُ
أنّ فراشةً عَبَرَت المحيطَ معيَ
كلما نظرتُ إليها
ذكّرتني بمقطوعة موسيقية قديمة
صباحَ الغدِ
أخي سألني عن دراجته الحمراء
وأنا ابتعتُها
لشراء باقةِ وردٍ حمراء
لعلَّ فراشةً متعددةَ الألوانِ
تَحُطُّ عليها

***

في الصفِّ
عندما جلستِ جواري
نسيتُ معادلاتِ الحسابِ
واتجاهاتِ الخرائطِ
بقي الشعرُ معي يُغنّي لعينيكِ

***

إلى اليوم
ثمة شجرةٌ أعلى الجبلِ
طاعنةٌ في السنِّ
تهذي بنا

***

القبعةُ التي أَخَفَتْ شَعرَكِ،
نَسيَتْ خصلةً منه،
تعلَّقتْ بها فراشةٌ صغيرةٌ.
كلّ الحقولِ تغارُ منها
كل الفراشاتِ تحسدها عليها!

***

أنتِ لا تُشبهينَ شيئًا

كلُّ شيءٍ في الكونِ

خُلِقَ ليشبهكِ
وُجِدَ ليحسدكِ

***

زِرُّ قميصِكِ الذي اشتَبَكَ
مع أصابعي
في معركةٍ قصيرةٍ
انتهى
بثورةٍ وجنونْ
وقصيدةٍ لم أكتبها بعدْ

***

ونحن مستلقيانِ على العشبِ
أبصارُنا نحو السماءِ
أنتِ تَعُدّينَ النجومَ
وأنا أَعُدُّ السُّحُبَ
يدي في يدكِ
قلبي يُطاردُ ابتسامتَكِ
الريحُ حَرَّكتْ خصلاتِ شَعْرِكِ
فسقطَتْ على وجهي
لي حنينٌ لقُبْلَةٍ مُباغتةٍ

أخبرتُكِ أني ابنُ البحرِ
فغرقتِ في صدري.

***

هل يُمكن أنْ تغفري خطيئتي؟
أحيانا نتوهّمُ أننا نعرفُ الطريقَ إلى البيتِ
لكننا ننسى
تأخذُنا الخُطى إلى شارعٍ آخرَ،
إلى حبيبةٍ أخرى،
عندها تسقطُ وردةٌ،
ويدوسُها العابرونَ

خطاياي تتكرَّر كلَّ ليلةٍ،
ليس لي حبيبةٌ
حتى أخونَكِ معها
منذ أنْ قبَّلتُكِ تحتَ المطرِ
في الحديقةِ الواسعةِ خلف منزلنا
جوارَ العربةِ الصدئةِ
أدركتُ أنَّ الخيانةَ مُرّةٌ

اغفري خطاياي،
فأنا أقنعتُكِ أنّ المطرَ
دموعُ ملائكةٍ في السماءِ
فاغتسلْنا كما نشتهي من ضحكاتِ الحياةِ

***

سقطتْ صورتُكِ من محفظتي في البحرِ
احتضنَها حوتٌ أحدبُ
حدَّقَ في عينيكِ
ثم تاهَ في محيطاتِ الأرضِ

***

كلُّ زجاجةٍ رميتُها في المحيطِ
بها رسالةٌ إليكِ
ملأتُها برائحةِ المسكِ الذي تُحبينَ
لم أشأْ أنْ أُزْعجَ الموجةَ في الخارجِ
غَطَسْتُ في الماءِ
ووضعتُها في هدوءٍ
حتى غادرتْ إليكِ
ثم عُدْتُ أكتبُ رسالةً أخرى

أخبري الصيادَ العجوزَ في قريتِنا
أنْ يأتيَكِ بكُلِّ زُجاجةٍ تقعُ في شباكِهْ
الزجاجةُ تعرفُ طريقَها إليكِ
تمامًا مثل سهمٍ
تَعَوَّدَ الاصطدامَ بشجرةٍ

عندما تفتحينَ الرسالةَ
اقرئي السطرَ الأخيرَ فقط
ما كُتب أعلاه لا يَهُمْ
إنه ذاكرتي المنشطرةُ،
إنه حلمٌ باغَتَني وانقضى،
إنه مجدُ أبي، ونياشينِهِ،

في السطرِ الأخيرِ اسمُكِ
وثلاثُ زهراتٍ،
وتوقيعٌ لعاشقٍ مجهولْ

(2)

طفلة.. على الشاطئ

صغيرتي
الراكضةُ حافيةً على الشاطئِ
الباحثةُ عن عنوان يسكنها:
المجدُ أعمى،
والقصفُ أعمى،
والموتُ أعمى يمُدُّ يديهِ مبتسمًا

اجمعي دموعَكِ
وانثريها للمدى
أو اصنعي منها إكليلا للشمسِ

باسمِ الحريةِ
باسمِ البحرِ
لا تسألي من أنا!
هنالك أسئلة لا نجد دليلا لنشوئها
لعلكِ أدركتِ
أنَّ الحياةَ لا تُحِبُّ الغناءَ

وحدَهُ المجازُ
قادرٌ على صنعِ آلهتنا
من دمعةِ عينيكِ ربما
أستعيدُ طفولةً غائبةً
ذلك الطفلُ في الأقاصي البعيدةِ
يجري خلف فراشةٍ،
بالونةٌ صغيرةٌ تقودُهُ للسماءِ
أنتِ أيضا تركضينَ
لكن إلى أين؟

أجملُ القصائدِ
ضاعتْ هنا
على شاطئِ مجيسْ*

يا صغيرتي
اسحبي لحافَ الموجِ
وتَغَطَّيْ به،

* مجيس: بلدة بولاية صحار، تُطلُّ على بحر عمان.

نامي،
لا تسألي كثيرا
إنْ كُنتُ أُحِبُّ الطفولةَ
أو أبكي مثلَ طفلٍ حزينٍ؟
انظري للبحرِ،
واغطسي فيهِ
غَطِّي أحلامكِ بأغانيهِ
وارقصي معه،
لا تُخبري أحدًا
أنَّ عابرًا في ليلةٍ غائمةٍ
أَحْرقَ قريةً كاملة.

(3)

رسالة إلى الجنرال

سيدي الجنرال:
قادتني الصدفةُ إلى هنا
وأبي
كان يعشقُ البحرَ

لكنني من خانه الموجُ، والنجومُ، والسفُنْ
كم اتجاهٍ ضحكَ لي
ثم تخاصَمَ مع الذكرياتِ
نسيتُ قوانينَ البحرِ عند أولِ بلدةٍ قصفتُها
نسيتُ قصائدَ العشقِ
لدى حبيبتي
تركتُها تبكي باحثًا عن سماءٍ
أُعلّقُ فيها نجمتي

قالتْ: لنْ تعودْ.
قلتُ: سأعودُ مُكللا بالنصرِ
ودّعتُها دون قُبلةٍ
ثم ضمّني البحرُ إليهِ
وجهُها خارطتي الأبديةُ
وعيناها بوصلةُ الحبِ الوحيدةُ
دونها أنا شجرةٌ لم تُثمرْ بعدْ
وحلمٌ يبحثُ عن تأويلْ.

عندما أمطرت السماءُ
بحثتُ عني.

في الشارع إلى البيتِ
توقفتُ جوار شجرةٍ صامتةٍ تحت المطرْ
أيتها الراهبةُ
هل تستمعينَ إلى موسيقى الحياةِ؟
هل تغسلينَ شَعرَكِ بمائِهِ المُتساقطِ؟

وحبيبتي

التي وَدَّعْتُها دون قبلةٍ
كانت تحمل كتابَ الشعرِ
أَسمَعَتْني قصيدتينِ
ثم غادرتْ.
سيدي الجنرال:
أبي قال لي مرةً:
البحرُ كالمرأةِ
لا تثقْ به أبدًا.. ولا تَبُحْ له بِسِرْ!
أخبرتُهُ أنّ المرأةَ كالبحرِ
لا يُبدّلُ زرقتَه كثرةُ العابرينْ
وعندما أكونُ وحيدًا أقرأُ كتابَ أبي
أبحثُ عن حكمةٍ شاردةٍ

لم يكنْ أبي شاعرًا،
هو قصيدةٌ خالدةٌ عزفها البحرُ فيما مضى
أبي موسيقى الشعرِ الذي نكتبُ عليهِ
إذا تأمَّلتَ ابتسامتَهُ فأنتَ شاعرٌ
وإذا وَعيتَ حُروفَهُ فأنتَ شاعرٌ
أنتَ شاعرٌ إذا كنتَ قريبًا منهُ
أنتَ شاعرٌ إذا كنتَ ابنًا لهْ
لكنه لم يثقْ بالحبِّ
لم يقرأْ لشعرائِهِ
تموتُ نجمةٌ ويرثيها الليلُ
لكنْ
إذا ماتتْ أغنيةٌ
أيبكي المزمارُ حُزنًا عليها؟
كم دمعةً سيُريقُ على ذكراها؟

كنتُ أنظرُ إلى النجومِ
وذات مساءٍ
اشتبكَ بعضُها ببعضٍ
فعاجلني الرحيلْ.

رميتُ سنّارتي
لم أَصْطَدْ شيئًا
يا سيدي، البحارُ فارغةٌ
والمحيطاتُ أَرْعَبَها صوتُ المدافعِ
وتجوالُ السفنْ
رميتُ سنّارتي مرةً أخرى
كانت سمكةٌ صغيرةٌ هناك تضحكُ
أَدَرْتُ وجهي متجاهلا سخريات البحرِ
زُرقةُ البحرِ هنا
لا تُشبهُ أيَّ زُرقةٍ في العالمِ
تَتَمرَّدُ الموجةُ،
والموانئ يصيبُها الدوارُ،
في النهايةِ أنا غريبٌ
أنا واقفٌ على ظهر موجةٍ ثائرةٍ

أجهلُ
لِمَ سمكةٌ صغيرةٌ تضحكُ في وجهي الآنْ؟

سيدي الجنرال:
في هذه الحياةِ ما يُعيدُ الفرحَ
حبيبةٌ فاتنةٌ،
قُبلةٌ دافئةٌ،
رقصةٌ على موسيقى قديمةٍ،
نومٌ تحت المطرِ،
أشجارُ الكرزِ،
نَهْدٌ أعلنَ استواءَهُ
وتمرُّدَهُ على قِيَمِ الجسدِ،
أما الكراسي فقد صنعها الوهمُ
صنعها الإنسانُ من لا شيء
حاولتُ ترتيبَ الأمكنةِ
قرّبتُ الأشياءَ، وأزَحْتُ النوافذَ
ولم أتمكنْ من خداعِ البحرِ
لم أفهمْ أغانيهِ
الذاكرةُ تهربُ بي إلى جبلٍ من حنينٍ
إلى شجرةٍ صغيرةٍ جِوارَ بيتنا
إلى شايِ أمي
وكتابِ أبي

هل تستطيعُ التفريقَ بين الحُبِ والحَربِ؟
أنا لا أستطيعُ
أنا أجهلُ الفرقَ.

هل تستطيعُ التفريقَ بين البحرِ والصحراءِ؟
أنا لا أستطيعُ
كلاهما يسحرُ العابرَ، ثم يُغيّبُهُ
في ظلماتٍ ثلاثْ.

هل تستطيعُ التفريقَ بين المرأةِ والحبيبةِ؟
أظنُكَ لا تستطيعُ
أنت لا تعرفُ سوى المنافي
والاغترابْ
وأنا كذلك أجهلُ الفرقَ،
وإلا لكنتُ الآنَ تحت ظلِّ شجرةٍ
أقرأُ كتابَ العشقِ،
وأضُمُّ حبيبتي إليّ..

سيدي الجنرال:
لن أخجلَ إنْ لم أفهم البحرَ

كلانا لم يفهم البحرَ
للبحر حكايةٌ،
ولك حكايتُكَ، وأغنياتُكَ،
أما أنا فتمضي الحكاياتُ
عاريةً عليّ من الحنينْ

في كل مرةٍ
أُخرج فاتورةَ إصلاحِ قفصِ العصافيرِ
أتذكَّرُها في كلِّ وقتٍ
هذه المرةُ ألقيتُها في البحرِ
لأنني قرأتُ قصيدةً عن الحُريةِ

سيجتمعُ الجُندُ في المساءِ
سيقُصُّونَ حكاياتهمْ
أنا لنْ أكونَ معهم
سأكون مشغولا بترتيبٍ أمنيٍّ للمرافئِ
لن يمنحني الوقتُ فرصةً للغناءِ
ذلك البَحَّارُ قالَ مرةً:
في خلوتِهِ يرى ما لا يُرى
فتياتُ قريتِهِ الجميلاتِ جِئْنَهُ،

رقصنَ معه حتى الفجرِ
بينما أفكر فيه،
كادتْ شظيّةٌ عابرةٌ أنْ تخترقَ ذاكرتي الهزيلةَ

أحاولُ مرةً أخرى أنْ أبتسمَ
أنْ أُدحرجَ ليلةً ثقيلةً عنيّ
ما كان في تلك اللحظةِ
أنَّ الشمعةَ انطفأتْ،
وأنا لم أقمْ لإيقاظها مرةً أخرى

(4)

الصقيع على جبل غُرابة[1]

أجَّلْتُ موتيَ مرةً أخرى
كلُّ النهاياتِ لا ترقى
أخشى القنابلَ والمدافعَ
صوتَ الحُروبِ
هديرَ القاذفاتِ مع العويلْ..

(1) جبل يقع غرب بلدة «فلج القبائل» بولاية صحار، ويعرف أيضا باسم «حورة برغة».

في الحربِ الأخيرةِ
قضى أهلُ القريةِ
وتجاهلتْ جسدي الشظايا المتساقطةْ..

في الحربِ الأخيرةِ
لم أفقدْ سوى دمعتينْ:
دمعةٍ على شجرةٍ كانت تُظلّلُني صغيرًا
ودمعةٍ غافلتني وهربتْ.
كنتُ أنا واقفًا هناكَ
أحفرُ القبورَ
وأدفنُ الموتى..
وأهزأُ بالموتِ الذي لمْ يقبلْ بي

***

لو غرقتُ في البحرِ
أين ستؤولُ جثتي:
على شاطئٍ مليءٍ بالعُراةِ
أو في بطنِ سمكةٍ مليئةٍ بالطحالبْ؟

***

حرقتُ المدينةَ
ثم عُدتُ لأطفئها

أنا هكذا دائمًا
أجري إلى الماضي..
ثم أحنُّ إلى المستقبل

***

عندما أهالوا عليَّ الترابَ
صرخْتُ
ليس لأنَّ القبرَ ضيقٌ
أو لأني لم أُنْهِ قصيدتي الأخيرةَ بَعدْ
بل لأني اعتدتُ الوحدةَ
وهذه القبورُ مليئةٌ بالصّارخينْ

***

أنا هنا وأنا هناك
المسافةُ الجاثمةُ بيننا وَهْمٌ
عندما لَمَسْتُها أَجْدَبَتِ المنافي
وضحكتْ الصحراءْ
لعلَّنا بعد قصيدتينِ نكونُ أجملَ من
وردةٍ
وأَهْدأَ من رصيفْ
في الصفحةِ الأولى كانت خطوتي
في فهرسِ الكلماتِ كانت خطوتي

في الهامشِ أيضا كانت خطوتي

لـــذا

لو تَعَثَّرْتُ

ربما كان سطرٌ هنا

واقفًا جِواري يسألُ عن تَعَرُّجِهِ

أين إذن قرأتُ عن اللقاءِ الوحيدْ؟

الصفحةُ تبدو بلا سطورٍ وبلا حروفْ

كنتُ فيها واقفًا

أَهذي بالغيابِ، وأَرْجُمُ العابرينْ

أنا هناك

لم أَعُدْ لقصيدتي منذُ هَجَرْتُها قبل عامْ

لنْ أمضيَ لقصيدتي التي حلمْتُ بها قبل عامْ

أنا هناك

عندما ابتسمَ الغيمُ

تَساقَطّتُ كأغنية كانتْ تُفَتّشُ عن كَمانْ

قال لي أبي:

نسيتُ في أيّ عامٍ وُلدتَ

تبسَّمْتُ

أبي لا ينسى
أبي يَعُدُّ النجومَ كُلَّ ليلةٍ قبل أنْ ينامْ
وذاكرةُ الحربِ هاجَمَتْهُ
أَيْقَظَتْهُ ذات مساءْ
فعلَّقَ سرَّ الهروبِ بأولِ حلمٍ.. وهامْ

***

أَجَّلْتُ موتيَ اليوم أيضًا
يُخيفُني السّمُّ كما يُخيفُني الليلُ
احْترمْتُ كلَّ النداءاتِ الغريبةِ التي عَصَفَتْ بالأمسِ
لكنني أبحثُ عن موتٍ صباحيٍّ
أَفْتَتِحُ فيه مقبرةَ الأوفياءْ
في الصباحِ أكونُ أكثرَ نُضجًا، وأكثرَ حُبًّا
وأكثرَ رغبةً في الانزواءْ
حتى في موتي
يجب أنْ تَحْترمني الحياةْ

***

على جبلِ غُرابةَ
الذي يظهرُ كمقاتلٍ يواجهُ الريحَ والمطرْ
يبدو الصقيعُ كَلامةِ حربٍ
وكأنّ سحابةً قد عَبَرتْ فأفضتْ بسرّها

هناك،
لا ينبغي أن تكونَ إلا أغنيةً قديمةً،
أو وردةً نسيها عاشقٌ،
أو طريقًا مَرَّ به راعٍ بدويٌّ

على جبلِ غُرابةَ
كُلُّ البنادقِ تساقطتْ كحلمٍ أخيرٍ
كقافيةٍ أخيرةٍ

وإلى جبلِ غُرابةَ سأعودُ
طفلًا يحملُ ذاكرته التي تركها
عند الخروج إلى ساحةِ القتالْ
سأعودُ
كما أشتهي،
سأقطف الثلجَ كما كان في قريتي
سأغني له كما كنتُ أغني لجبلٍ هناكْ
سأحملُ نايي
سأغني كما كنتُ أغني
وأنا على جبلِ غُرابةَ
سأفتقدكِ

كما تفتقد المراكبُ ريحًا وماءْ
أحنُّ إليكِ..
ولستُ أعودْ.

***

عند موتي
انزعوا عني ملابسَ الحربِ
انزعوا كلَّ النياشينِ
أنا الإنسانُ العابرُ إلى زمنٍ آخرَ
أَلبسوني ثيابي القديمةَ
ثيابي القديمةَ جدًا
حيث رائحة العطرِ
العطرُ الذي سرقْتُه من جيبِ لص!

***

نسيتُ وصيتي
وعندما حدَّثني شيخُ القبيلةِ العجوزُ في ساحلِ عُمانَ
سألتُهُ عن الموتِ
أَسْمَعَنيْ قصيدةَ الأعشى الأخيرةَ.
كنتُ مرتبكًا
فإلى أين تأخذهمُ الصحراءُ؟!
وإلى أين يقودهمُ البحرُ؟!

سألتُهُ مرةً أخرى،
فأعادَ قصيدةَ الأعشى الأخيرةَ عليّ
في المرةِ الثالثةِ لم أسألِ الشيخَ
وكتبتُ وصيةً أخرى:
«اسألوا الموتَ لماذا يُحبُّ الحياةَ»؟!

***

أيها الصدى القادمُ إليّ
أنا خطيئتُكَ الأولى
أنا العازفُ الوهميُّ على سُلَّمِ صمتِكَ
حين جاورتُ أمواجَ البحرِ
نسيتُ أنَّ لي ظِلًا يكبرُ كلما عانقتُهُ
وحين نظرتُ إلى السماءِ
تَساقَطَتْ نجمةٌ بقلبِ المحيطْ

***

تأخرتَ أيها الموتُ
تأخرتَ قَدْرَ حكايتينْ
انطفأتِ الشموعُ، وانصرفَ المُشَيّعونْ
وأنا في كلّ موعدٍ أُخبئُ قصيدةً لك
وسأحرقُها كعادتي
في انتظارِ موعدٍ جديد

حكايا الأعمى

(1)

في منامي
مشيتُ ضد العابرين في الطرقاتِ
اصطدمتُ بأكتافهمْ
أخذتُ عصايَ
وعاودتُ الاصطدامَ بآخرينْ

عند الفجرِ،
لبستُ حذائي ومشيتُ،
مشيتُ هذه المرةَ
مع المشائينَ في الوجهةِ
كأنْ لم يكن شيءٌ في المنامْ
لم أعرفْ تفسيرا لخطواتي الطويلةِ،

قالت حبيبتي:
هذا هو السرابْ!

(2)

حدّثني الأعمى:
احذرْ يا بُنيّ من حفرةٍ
في آخر الشارعِ
يسقطُ بها المبصرون دائمًا

لكنني أعمى مثلُكَ
وسقطتُ في الحفرة أيضًا.

إذن فاحذرْ أنْ تكونَ سُلَّمًا
يصعدونَ عليه

بل اختاروني قَدَمًا أصعدُ على أكتافهمْ

(3)

الثقبُ في الشجرةِ،
لماذا يغرقُ القارب؟

(4)

نظرت المرآةُ إلى وجهي
ثم قالتْ:
أَشْعلْ مصباحَ الإنارةِ
ما زلتُ لا أرى عينيكَ
وأُخطئُ دربَ ابتسامتكَ
تلفَّتُّ
أكثر مما ينبغي

ثم مدَّتْ يدَها وأغلقتِ المصباح

(5)

قال النجارُ:
أيها الأعمى
لمَ أصنعُ قاربًا لكَ؟

حتى لا أنسى أنّ البحرَ جِواري

(6)

ليتني أثقُ بالصخورْ!

عندما لمستُ صخرةً
تثاءبت الطرقُ، وتساقطت النجومْ

عندما استلقيتُ جوار صخرةٍ
مرّت الغيومُ دون أنْ تُمطرَ

عندما رسمتُ صورةَ حبيبتي على صخرةٍ
هربت الصخرةُ قبل أنْ أحضنَها

ليتني أثقُ بالصخورْ!

(7)

غرقَ القاربُ
لكنني لم أغرقْ
البحرُ صديقي
حملني على كتفيه
وألقى بي إلى جزيرةٍ مليئةٍ بالنساءِ

قلتُ لإحداهن: الجُزُرُ ملاذُ العاشقينَ
ملاذُ الخائفينَ
أما العُميانُ فالبحرُ أولى بهم

ألقيتُ نفسي في البحرِ
بحثتُ عن غَرقٍ سريعٍ
قبل أنْ تنهشنيْ سمكةٌ عمياءُ!

(8)

يا لهذهِ الموجةِ
تصطدمُ بي كلما غضبَتْ من أبيها البحر

(9)

في حلبةِ الضوءِ
كنا ثلاثةً
أنا
وأبو العلاءِ
وبشارْ

أحدهما كان يفتح شُباكَ الريحِ
ويُطِلُّ على الشعراءِ..
ثم يُلقي ما لديه
من زُحافٍ قديمٍ..

والآخر كان ينام على ظهرِ غيمةٍ
قبل أنْ يهذيَ بطللٍ لجارته الحسناءْ

وأنا أُحَدِّثُ عنهم
أنّ الشعر فوضى
كُلُّه فوضى يصنعه الجنونْ

(10)

ألم تعشقْ؟
بلى. عشقتُ نفسي، فأهديتُها السوادْ

(11)

المسافةُ بيني وبين البحرِ، الآنَ
أغنيتانِ، وقصيدةْ
شرفتانِ، ومنديلْ

قُبلتانِ، وحنينْ
ما أبعدها إذنْ!

(12)

أحنُّ إلى لحظةٍ لا أتذكرها الآنَ
لكنني كنت أُحسُّ
كلما فتحتُ المذياعَ، وأدرتُ الموسيقى
بعصفورٍ يَطرقُ نافذتي

أرجو أنْ ترحلَ عن عالمي
لو تعلمُ كم أكره الموسيقى
وأكرهُ فتحَ النوافذِ
وأكرهُ الضوءَ

لا.. لا
لا عليكَ
ابقَ مكانكَ
أنا فقط أكرهُ الحريةَ

(13)

قال جاري:
إنه لم يُقبّلْ حبيبته منذ عامْ
ما الجديد؟
كلُّ الرجالِ هنا موعودونَ
بالخيباتِ، والهزائمِ، والجنونْ

(14)

أرجوكَ عُدْ أيها القاربُ
ما تزال الشجرةُ تسألني
عن المسمارِ الذي اخترقَ أفكارَها
وعن ضلعها الذي كُسِرَ في الطرقاتِ

(15)

كنتُ أحلمُ بكِ
هل تذكرينَ؟

لماذا تركتِني وحيدًا في مجازِ الحلمِ؟
واستعارة الغيابْ؟

(16)

لم أُقبّلْكِ. صدقيني

قبَّلتُ امرأةً قادمةً من ذاكرة التاريخِ
امرأةً كانت تعزف البيانو أمام سوق مطرحَ
ثم دخلتْ حارةً قديمةً
ولم تعد إلى اليومْ

نعم، قبَّلتُها، فعاد التاريخُ منتصرًا..

(17)

أمي تودّعني كلما خرجتُ بحثًا عن المجهولِ
وأعودُ مساءً
تحضُنُني،
تُقبّلُني،
تمسحُ على رأسي،
ثم تسألني عن المجهولِ
الذي رافقني طوال اليومْ

(18)

الحب...

-أعني طعامَ العصافيرِ-

لماذا كلما لفظتُ الحاءَ
يُعلنُ قلبُكِ الخفقانْ؟

(18)

كنتُ بأصفهانَ
عندما لمستْ يدي طِفلةٌ فارسيةٌ
أحسستُ بالنهرِ الكبيرِ يتجمّدُ
لكنها قادتني إلى النهرِ
مشينا معًا،
أكلنا الفالوذةَ،
وأخبرتني أنَّ سعدي الشيرازي
كان يحتسي قهوتَه هنا
كان حكّاءً
يسرد سيرةَ الراهبينَ
لكنه
لم يكن يُعنى بالشعر أبدًا

(19)

أحاولُ الوصول إلى جبلٍ يعصمني من الماءِ
وعندما فكّرتُ قليلًا
مرَّ الفلكُ بي
لم أمددْ يدي له،
وابتلعني التنورُ إليهِ

(20)

يا إلهي
ما قصة هذا الغرقِ؟
مرةً في البحرِ
وثانيةً في التنورْ!

أين القاربُ الذي صنعه النجارُ الأعمى؟

(21)

تستهويني الخطيئةُ دائمًا
مرةً قلتُ خطًا
لصيادٍ عجوزْ:

أُحبُّكِ
فانتحرت السفنُ، وغرقت الشباكْ

(22)

قال لي امرؤ القيس:
الليلُ يُشبه ريحًا في قفارٍ خاويةٍ.
لم أذكر البحرَ إطلاقًا،
هم اتهموني بزرقة البحرِ، وجنونهْ

(23)

والبحرُ ما زال مالحًا
رغم محاولتي الشديدة بالبصق فيه

(24)

انتهى النفقُ أخيرًا
ابتدأتِ الظلمةُ الآنْ

(25)

أحبّكِ
لا أدري كم مرة كتبتُها في رسائلي القديمةِ

ثم أحرقتُها
مخافةَ أنْ ينشرَها عابرٌ
في كتابٍ
بعد قرنٍ من الزمانْ

(26)

عندما وضعتِ قدميكِ في النهرِ
عمَّ الفيضانُ
وامتلأتِ السدودْ
وأنا كنتُ أُغني
حتى نامتْ نرجسةٌ في خديكِ

(27)

أيها الشاعرُ
أيها العابرُ
لا تسمحْ للقصيدةِ أن تُغويَكَ
وللفكرة أن تصطادَكَ
ربما اختلطتْ عليكَ الأسماءُ
لكنْ:
المسافرُ هو الطريقُ

والطريقُ هي الغربةُ
والغربةُ هي نايٌ حزينٌ
والنايُ هو الحنينُ
والحنينُ هو المسافةُ
والمسافةُ هي المسافرُ
أرأيتَ
هكذا تولدُ الأسماءُ!

(28)

أدرتُ ظهريَ للرمحِ
لكنه أصابَ صدريْ

يا لمروءتِكَ أيها الخائنُ!

(29)

الأعمى الذي رأى البحرَ
كان أنا
رأيتُه يُشبهني
هادئًا في الصباحِ
ثائرًا عند الظّهيرةِ
عاشقًا في المساءِ

همس إليَّ
أنّه لا يُحبُّ الزُّرقةَ
مَنْ صَبغَ وجهه بها؟!
مَنْ عَلَّمهُ أُحجيةَ المَدِّ والجَزرِ
مَنْ عَلَّمهُ الرقصَ
عندما تمشي حبيبتُه على صفحةِ الرّملِ
إنه يُشبهُني
يذوبُ كقطعةِ سُكَّرٍ
إذا غمزتْ إليه امرأةٌ عابرةٌ

الأعمى الذي رأى البحرَ
كان يبحثُ في البحرِ عن خُلودِهِ
اتَّفقَ على نسيان تجاربه الماضيةِ
لكنّه لم يَنْسَ
هل ينسى خطيئته التي غرقَتْ في لذّةِ الشَّبَهْ؟

(30)

بيدي عصا
أَهُشُّ بها على غنمي
قالتْ لي السدرةُ:
يكفي أنْ تُغنّي، فتتساقط أوراقُ الشجرِ

في المرةِ الماضيةِ
حين ضربتَ بعصاكَ
تطايرت العصافيرُ والأحلامُ والسنواتُ الطويلةُ
ثم لم تَعُدْ

(31)

كسرتُ العصا،
ثم تذكرتُ
أني لا أُحسنُ الغناء

(32)

أنا ذلك الواقفُ خلف الخليفةِ
حاملا ريشة طاووسٍ كبيرةٍ
أُهدهدُ بها ذكرياتِهِ
عندما دخل الشاعرُ وقال قصيدتَهُ
التي لم تُعجبني
همسَ الخليفةُ أنْ أُلقيَ كيسَ النقودِ إليهْ
عادتْ بيَ الذاكرةُ إلى جاريتِهِ
التي ما يزال أثرُ قُبلتها على عنقِهِ

فَتَّشْتُ في جيبيَ المثقوبِ،
كانت قصيدةُ الشاعرِ،
وكيسُ نقودِ الخليفةِ،
وصورةُ الجاريةِ،
قد تبخّرتْ كطائرٍ خُرافيٍّ
تَنْشُدُهُ الأساطيرُ القديمةُ

(33)

لماذا يسقطُ المطرُ على رؤوس الجبالِ؟
وأنا وأنتِ ننتظره في ساحةِ الورودْ!

(34)

عُدْتُ كما عاد أهلُ القريةِ
بعد أنْ دفنوا شيخَهمْ
نُنْشدُ الأشعارَ،
ونُقيمُ الولائمَ،
ونتقاسمُ الطرقاتِ

(35)

يا صغيري نَمْ
الحياةُ فاترةٌ

لا مكانَ للأغنياتِ هنا
لقد سرقوا مهدَكَ كما سرقوا الحضارةَ والتاريخَ
يا صغيري..
الماضي لنْ يعودَ
والمستقبلُ أعمى
والجهاتُ اختبأتْ خلف المسافةِ
ثمة أغنيةٌ مجهولةٌ
تبحثُ عن وطنْ

(36)

في الليلِ
سألني الخليفةُ للمرةِ الثانيةِ
عن كيس النقودِ

كم حسبتُ عددَ الجياعِ
الواقفين في طابور المخابزِ
توهَّمْتُ أنَّ كسرة خُبزٍ
أغلى من قصيدةِ مدحٍ يُلقيها
شاعرٌ في البلاطِ
مددتُ يدي

ما يزال الجيبُ مثقوبًا
عن أي كيسٍ يسألني الخليفةُ يا ترى؟

(37)

بِعْتُ داري
لا نيةَ عندي للمقامِ
منذ أن رحلتِ
ضَمَّتْني الطُرقاتُ

تحت شُرفةِ بيتكِ القديمِ
كتبتُ قصيدةَ العارفينَ، والعاشقينَ
منديلُكِ المُضمَّخُ بالياسمينِ
أيقظَ الجيرانَ،
وأيقظَ الموتى في المقبرةِ القريبةِ
أحدُهم قال لي:
أما مَلَلْتَ من الغناءِ
تحت شُرفةٍ مُغلقةٍ منذ عقدينِ
تعالَ
ثمة مجهولونَ هنا
ينامونَ والوردُ في أيديهم
ينتظرونَ أغنيةً قديمةً للخروجْ

(38)

ما قاله الماءُ عني
قالته الريحُ أيضا،
قاله الغيمُ:
المَشّاءُ الذي نَسِيَ خطوَه في دروبِ الطينِ
ترك وجهه يحكي
للغيابْ.

(39)

أعزلٌ من كلِّ شيءٍ
أطلقْ رصاصَكَ إنْ أردتَ

صدري سيحتضنُ المماتَ كما احتضنتُ الحُبَّ
أطلقْ رصاصكَ
لن أنامَ بلا ابتسامٍ
أو غناءٍ
أو قضيةْ

(40)

أنا مثلُكِ

أُشبهُ الغيمَ،
وتُشبهني الصحراءْ

(41)

أنا لا أكرهُ القطارَ الذي صدمني
وحوَّلني أشلاءً مُبعثرة
أنا حزينٌ على العينينِ
اللتين قرأتُهما شعرًا
ولم تبكيا عليّ

(42)

أفكّرُ:
إذا قُطِعتْ أصابعي كيف سأكتبُ لكِ قصائد الحُبِّ الخالدةْ؟
إذا قُطِعتْ يدي كيف سأزرعُ الوردَ الذي تُحبينْ؟
إذا قُطِعتْ ذراعي أين ستضعين رأسكِ ونحن في السريرْ؟

أفكِّرُ أنْ أنهيَ ثورتي الآنَ
حتى لا أفقدكِ

(43)

عندما توقظني أمي في الصباحِ
تتطايرُ العصافيرُ مع ابتسامتها
وعندما أفتحُ النافذةَ
تملأ العصافيرُ سماءَ حارتنا
ثم تحجبُ نورَ الشمسِ..
وقبل الغروبِ
تعودُ مرةً أُخرى لتنامَ في حُضنِ أمي
بعد سنين طويلة من التذكُّرِ
افتقدتْ سماءُ حارتنا موسيقى الصباحِ الهادئِ
وسألتني نخلةٌ جوار بيتنا:
أين مَضَتِ القصائدُ والمواويلُ؟
لم أُجِبْ
لأنني كنتُ أفكرُ في شمسِ هذا اليوم
لمَ لمْ تزل نائمةً إلى الآن؟

(44)

الكذبةُ الأولى
تشبهُ الكذبةَ الأخيرةَ في الرائحةِ والإيقاعْ

تمامًا
مثل قصيدةٍ جاهليةٍ
مختبئةٍ في جلباب طللْ.

(45)

صورتُكِ المعلّقة في غرفتي
غادرت البروازَ
سألني الجدارُ عنها
أخبرتُهُ أنكِ مدعوةٌ إلى حفلة ميلادٍ
وعند عودتكِ
سألتني الحديقةُ المجاورةُ
عن العطرِ الراقصِ المنبعثِ إلى الخارجِ
بينما الجدارُ
لم ينم ليلته تلك

(46)

ضَلَّتْ نجمةٌ طريقَها الليليَّ
التقت بأغنيةٍ عابرةٍ
تعانقتا
واتفقتا على الخلودْ

(47)

أيها الغريبُ
أعرني حذاءكَ
أريد أن أقرأ تعويذةَ الظّلِّ

(48)

كلما اصطدمتُ بعمود إنارةٍ
اشتعلت الأفكارُ
في رأسي

كلما عانقتُ شجرةً
ازدادتْ العصافيرُ
بأصابعي

كلما نظرتُ إليكِ
أطفأتني غيمةٌ عابرةْ

(49)

عندما أستمع إلى البحرِ
أكون قد استرجعتُ الحكايةَ المفقودةَ

من حكايا ألف ليلةٍ
أخبرَني
أنها حُفِظَتْ في زجاجةٍ مع الجنّيِ
الآن أستمع لغنائِهِ،
لصوتِهِ القادمِ من متاهات السنينْ:
هو البحرُ يُخفي ملامحَ العابرينَ،
حدَّثني عنكِ مرةً فتوقّفَ الموجُ
واستسلمتِ السفنْ
عيناكِ اتحدتا مع الزرقةِ،
أنا عابرٌ مع السفن،
لستُ كالسندبادِ
أجهشتُ في البكاءِ حين
رأيتُكِ في المنامِ
تقطفينَ العنبْ

لن أستمعَ إلى البحرِ ثانيةً
حتى لا أوقظكِ،
حتى لا تسقطَ كرمةُ عنبٍ
من بينِ يديكِ

البحرُ مدارُكِ
البحرُ منفايَ
البحرُ شهوتُنا الأخيرةْ.

(50)

أنتِ جواري
وتنهشني الوحدة!

تبًّا لكَ

أيها القلبُ الأعمى..

خالد علي المعمري

- كاتب وشاعر من ولاية لوى، سلطنة عمان.
- صدر له:

1. «وقال نسوة في المدينة»، شعر، 2007.
2. «وحدك لا تسافر مرتين»، شعر، 2009.
3. «هذا الذئب يعرفني»، شعر، 2013.
4. «تحت المطر»، مقالات ونصوص، 2013.
5. «ما جاوز الظل»، رسائل، 2016.
6. «مخطوطة عشق»، شعر، 2017.
7. «أحجيات السرد»، دراسة، 2017.
8. «أصافح الغيم»، مختارات من الشعر العماني المعاصر، 2020.

فهرس المحتويات

العرّافة... 7
الحلاج 9
الشجرة.. 10
الرّسّام.. 11
انسحابٌ تكتيكي 13
عناق 14
أغنية للصمت 15
حارس الموتى.................................. 17
محاولة صيد.................................... 20
لا شيء يُشبهُني................................. 21
صعود 22
صدى 23
قبل أنْ يأتيَ الخريف 24
من مذكرات الشيخ الهندي....................... 34
حكايا الأعمى 61